المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي لله تعالى في النظم القرآني

اسم الباحث

د / محمد مهدي لخضر بن ناصر

د. محمّد مهدي خضر بن ناصر

ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي لله تعالى في النظم القرآني

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مُضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعد؛ فإنَّ تعظيم الله -تعالىٰ- من أجلّ العبادات القلبية التي يتعين تحقيقها والقيام بها، فلا يمكن إيقاع العبادة ولا الوصول بها إلىٰ أعلىٰ درجاتها وكمال سُعودها، إلا بتعظيم الحقّ المعبود الآمر بها؛ فقد ذكر المناويُّ في تعريف العبادة أنَّها: «فعل المكلف علىٰ خلاف هوىٰ نفسه تعظيما لربه، وقيل -أي العبادة- هي تعظيم الله وامتثال أوامره»[1]؛ ولذا فلا عجب أن يكون السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم من أشدِّ النّاس تعظيمًا لله، قال القنوجي: «وهم أشد تعظيما لله وتنزيها له عما لا يليق بحاله»[2].

وفي النظم القرآني وجدنا التعظيم لازم من جهتين -أو إن شئت قل: من ملزومَين-:

الجهة الأولىٰ: المعرفة، فأكثر الناس معرفة بالله أشدهم تنزيها له عما لا يليق به؛ قال ابن القيم: «من أمارات المعرفة بالله: حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته»[3].

الجهة الثانية: الإيمان؛ يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في هذا المقام: «إن الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السماوات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزها معظما له جلّ وعلا، غير متنجّس بأقذار التشبيه»[4].

وقد صرفنا العناية في هذه الورقة البحثية إلىٰ الجهة الأولىٰ ممثلة في المعرفة، أجوب مادتها، وأجول في حوماتها، وقد وسمت عنوانها بـ: ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي لله في النظم القرآني.

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التّعاريف (٤٩٨).

(٢) قطف الثمر (٤٨).

(٣) مدارج السّالكين (٣/ ٣٣٨).

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصّفات (٣٦).

أهمية الموضوع:

لعل أهمية البحث في الموضوع تظهر في جانبين: أحدهما اعتقادي والآخر واقعي.

أ- الجانب الاعتقادي: لا يخفىٰ أن علم العقيدة من حيث تعلقه بالعمل القلبي للمكلف يتردد بين معرفة أركان الإيمان باعتبار ذاتياتها، وبين ما تعلق بلوازمها كالتعظيم؛ فالأول يتعلق بالمكلف من حيث هو مكلف، إما من جهة وجوب تعلمه -وهو وجوب علىٰ سبيل الكفاية- أو من جهة الإيمان به واعتقاده -وهو متعين علىٰ كل مكلف-؛ أما الثاني: -أقصد اللوازم- فَمَحلُّه من حيث هو كائن بعض المسلمين فقط، لكن من حيث ما ينبغي أن يكون فلا شك أنه مطالب به كل مسلم، لذا كان البحث فيه من الأهمية بمكان.

ب- الجانب الواقعي: ويتمثل في كون ترسيخ قيمة تعظيمِ الله عز وجل تعالج كثيرا من مشاكل المجتمع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية بأيسرِ السبل وأقلّ التكاليف والأعباء علىٰ الدولة.

أهداف البحث:

يمكن تقسيم الأهداف إلىٰ كلية وجزئية؛ فالكلية تتمثل في تحقيق التوحيد لله والسلامة من الشرك ووسائله، وأيضا في ترسيخ أعظم قيمة في حياةِ المسلم وهي العبودية لله عزّ وجل، وهذا لا يكون إلا بتعظيمه، أما الجزئية فتظهر في بيان حقيقة ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي وكذا عرض آليات تقرير هذه التلازمية في النظم القرآني مع الوقوف أنواع هذا التلازم ومراتبه.

الإشكالية:

يدور الإشكال الجوهري لهذا البحث حول حقيقة هذه الظاهرة القرآنية، كما يتفرع عن ذلك إشكالات أخرىٰ لازمة عنه سلبا وإيجابا؛ فمن حيث السلب: يتوجه السؤال نحو دعوىٰ الانفكاك بين المعرفة والتعظيم، ومن حيث الإيجاب: يتوجه الإشكال إلىٰ مراتب هذا التلازم، وكذا التلازم الحاصل من حيث كونه عقليا أم شرعيا أم هما جميعا؟؛ ويشتركان -سلبا وإيجابا- في استشكال آليات تقرير هذه الظاهرة.

خطة البحث:

ستنتظم هذه الورقة البحثية في مبحثين: أتناول في الأول منهما حقيقة التلازم المعرفي التعظيمي، مع عرض آليات تقرير هذه التلازمية في النظم القرآني؛ ويستقلّ الثاني ببيان أنواع هذا التلازم ومراتبه.

والله نسأل التوفيق والسداد، فقلما يخلص بحث من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات.

المبحث الأول: حقيقة هذه الظاهرة وآليات تقريرها

المطلب الأول: حقيقة الظاهرة القرآنية.

أولا: **ما معنىٰ الظاهرة.**

١- الظاهرة في اللغة: من الظهور، وهو يعني الوضوح[١].

٢- وفي الاصطلاح: تطلق ويراد بها معنيان:

الأول: المعنىٰ الأعم.

هي كل شيء يدرك الإنسان وجوده، ويستطيع وصفه أو الحديث عنه[٢].

الثاني: المعنىٰ الأخص، وذلك بحسب كل تخصص.

فالظاهرة الاجتماعية مثلا هي ما دلّ علىٰ أمر غير مألوف، وانتشر في المجتمع بشكل مفاجئ وأصبح جزءًا منها، وهي في الغالب ترتبط بالمجتمع والحياة الاجتماعية للأفراد، فيقال ظاهرة اجتماعية، ولكن أيضًا قد ترتبط بالطبيعة وتقلبات المناخ والطقس مثلًا فيقال ظاهرة طبيعية، أو بالاقتصاد فيقال ظاهرة اقتصادية وهكذا[٣].

ثم إن الظواهر أيًّا كان نوعها لها مجموعة من الخصائص التي تجعل منها ظاهرة فعلا، وأبرزها أن تكون أفراد الظاهرة مترابطة مع بعضها البعض ولا يمكن فصلها، والتعامل مع كل منها علىٰ حدة، لأن لكل واحدة تأثيرها علىٰ الأخرىٰ[٤].

أما **الظاهرة القرآنية** فهي: ما دلّ علىٰ أمر من الأمور اللغوية أو الشرعية لتقرير مقصد شرعي، واطرد النص القرآني فيها أو الإشارة إليها كثيرا.

شرح قيود ومحترزات التعريف:

فقولنا: «ما دلَّ علىٰ أمر من الأمور» هو كالجنس في التعريف[٥]، يتناول جميع الأمور في مختلف الفنون والعلوم.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٥٢٠).

(٢) معجم المصطلحات العلمية والفنية ليوسف خياط (٤٢٦).

(٣) علم الاجتماع -الموضوع والمنهج- لمجد الدين عمر خيري (٣٧).

(٤) أسس علم الاجتماع لعادل مختار الهواري (١٨٠).

(٥) هو كالجنس وليس جنسًا، لأنّه حدّ بالرّسم، وليس حدًّا بالحقيقة.

وقولنا: «اللغوية أو الشرعية»، هو قيد احترزنا به عما سوىٰ هذين الأمرين، فمثال اللغوية ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، ومثال الشرعية الظاهرة التي هي قيد الدراسة والبحث.

أمَّا قيد: «لتقرير مقصد شرعي»، ففيه بيان أن هذه الظواهر وضعت لحكمة أرادها الشارع، سواء كانت منصوصة أم مستنبطة.

قولنا: «واطرد النص القرآني فيها أو الإشارة إليها» فيه إشارة إلىٰ أن هذه الظواهر علىٰ ضربين: الأولىٰ ما اطّردت فيها النصوص وتكاثرت، وهذه -لا شك- يسهل دركها وعقلها علىٰ كل قارئ، الثانية: وهي ما اكتفىٰ الشارع بالإشارة إليها في مواطن مختلفة، ولا يقف عليها غالبا إلا المتبصر، أي من كان له تدبر وبصيرة.

وقولنا: «كثيرا» أي: لا غالبا ولا نادرا، لأنه إن كان غالبا صار أصلا عاما، وإن كان نادرا انتفىٰ عنه وصف الظاهرة[1].

تنبيهان:

الأول: **حول عن مصطلح الظاهرة القرآنية عند مالك بن نبي.**

إنَّ مالك بن نبي تناول مصطلح الظاهرة القرآنية من حيث الجملة -أي: إنه يرىٰ كلام الله ظاهرة في ذاته-[2]، بينما نحن نلتفت في بحثنا إلىٰ الظواهر الجزئية التفصيلية، وقد كان تعريفنا لها بهذا الاعتبار.

الثاني: **في الفرق بين الظواهر القرآنية والظواهر في القرآن الكريم.**

يتجلىٰ الفرق بينهما في أمرين اثنين:

أ. **من حيث العموم.**

---

(١) ونعني بالكثرة هنا الكثرة المقتضية تحقق أركان الظاهرة فيها.

(٢) أشار مالك بن نبي في الفصل العاشر إلىٰ بعض الظواهر التفصيلية في الفصل العاشر تحت عنوان موضوعات ومواقف قرآنية، إلا أنها لم تُقصَد أساسا في البحث وإنما ذُكِرت علىٰ سبيل التبع فقط. انظر: الظاهرة القرآنية عنده (٢٦٧) وما بعدها.

إن الظواهر في القرآن أعم من الظواهر القرآنية[١]، **فالأولىٰ** تشمل الظواهر الاجتماعية التي أشار إليها القرآن كظاهرة الفساد في قوله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، ومثلها بعض الظواهر الاقتصادية كظاهرة الربا، بينما يكتفىٰ في **الثانية** بما كان له تعلق بذات كلام الله جلّ وعلا.

ب. **من حيث الإيجاب والسلب.**

الظواهر القرآنية لا تكون إلا إيجابية فهي تأتي لتقرير أصل عقدي أو مقصد شرعي، بينما الظواهر في القرآن تتردد بين الإيجاب والسلب[٢] كظاهرتي الفساد والرِّبا -فهما سلبيتان-.

ثانيا: **ما معنىٰ التلازم؟**

١- التلازم في **اللغة** من اللزوم، وهو يعني عدم الانفكاك[٣].

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان]، أي: ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلىٰ الإسلام، فقد كذبتم فسوف يكون لزاما، أي: عذابا لازما لكم[٤].

٢- وأمَّا في **الاصطلاح** هو امتناع انفكاك أحد الشيئين عن الآخر[٥].

ثالثا: **المراد بالمعرفة.**

١- المعرفة لغة:

ترجع معاني مادة (عرف) إلىٰ أصلين اثنين، يدلّ أحدهما علىٰ تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر علىٰ السُّكون والطمأنينة.

فالأول: العرف، يقال: جاءت القطا عُرْفًا، أي: بعضها خلف بعض.

---

(١) بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل ظاهرة قرآنية هي من الظواهر في القرآن، وليس كل الظواهر في القرآن يعتبر ظاهرة قرآنية.

(٢) قولنا: «سلبية»، أي: إن القرآن ألحق بها صفة السَّلب سواء كان ذلك علىٰ سبيل التصريح أم التلويح.

(٣) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٠٢٩).

(٤) لسان العرب (٥/ ٤٠٢٧).

(٥) المحصول في أصول الفقه للرازي (١/ ٢٣٢)؛ التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي (٢٤٢)؛ وانظر أيضا: معجم مصطلحات أصول الفقه لمصطفىٰ قطب سانو (١٤٥).

والثاني: المعرفة والْعِرْفَانُ تقول: عرف فلان فلانا عِرْفَانًا ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل علىٰ سكونه إليه؛ لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه[١].

وجاء من المصدر «مَعْرِفة»، علىٰ غير القياس؛ لفعله الذي هو علىٰ وزن «يَفْعِل»، إذ إنَّ أكثره يأتي علىٰ وزن «مَفْعَل»[٢].

٢- في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (عرف) في مواضع متفرقة من كتاب الله عز وجل، وتعددت معانيها بحسب السياق الذي ذكرت فيه، وإليك هذه المعاني باختصار:

أ- حصول الإدراك بعد العدم، وذاك العدم هو إمَّا لجهل أصليٍّ بالشَّيء، أو لجهل طارئ كالنِّسيان، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[يوسف:٥٨].

ب- الإظهار والبيان، كما في قوله تعالىٰ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]؛ قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «عرَّف حفصةَ بعض ما أوحي إليه من أنّها أخبرت عائشة بما نهاها عن أن تخبرها»[٣].

ج- الإقرار، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: أقرُّوا بها، واعترفوا فيما بينهم وبين ربّهم»[٤].

د- ما كان الأمر فيه إلىٰ العرف والعادة، ويُسمّىٰ المعروف، ففي قوله تعالىٰ: ﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

هـ- التفكُّر والتدبُّر، ففي قوله تعالىٰ: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾[النحل]، قال الرَّاغب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن معنىٰ المعرفة في الآيتين: إدراك الشي بتفكر وتدبر لأثره»[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٢٨١).

(٢) القاموس المحيط للفيروزابادي (٨٣٧).

(٣) تفسير القرطبي (٢١ / ٨١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٦).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٣٣).

٣- المعرفة في الاصطلاح:

والمعرفة في الاصطلاح هي مطلق الإدراك الحاصل لدىٰ الانسان عن طريق أحد مصادر المعرفة الأربعة -علىٰ خلاف في إثبات بعضها أو نفيه- والتي هي: الوحي، الإلهام، العقل، الحس[١].

والمعرفة المرادة في بحثنا هذا ما ثبت عن طريق الوحي القرآني، وهي من حيث لزوم تقريرها لأصل التعظيم قد تضاف إلىٰ الخالق أو إلىٰ المخلوق؛ فمثال المعرفة المضافة إلىٰ الخالق، قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، ومثال ما أضيف منها إلىٰ المخلوق: قوله تعالىٰ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية]، وهذا كله لإفادة التعظيم لزوما ووجوبا.

رابعا: **ماهية التعظيم**.

١- التعظيم في اللغة:

التعظيم من العِظم بكسر العين، وهو خلاف الصِغر، وعظَّمه تعظيما وأعظمه، أي: فخمه وكبره، واستعظمه، أي: رآه عظيما[٢].

والعظيم -كما جاء في اللسان- هو الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدود العقول[٣].

٢- في الاصطلاح:

والعظيم في الاصطلاح هو الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح -ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلت في الصفة فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم-[٤].

---

(١) التعريفات للجرجاني (٢٣١)؛ وانظر أيضًا: كشاف اصطلاحات الفنون (٢ / ١٠٣٩)؛ المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢ / ٣٩٢).

(٢) القاموس المحيط للفيرزابادي (١١٣٨-١١٣٩).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٢ / ٤٠٩).

(٤) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين للسعدي (٢٧).

٣- ثم إن القصد من تعظيم الله -تعالىٰ- الإيمان المُطلق بأنّه -سبحانه- أعظم من كل شيء، وأجلّ من كلّ أمر، وأكبر ما في الوجود مع العلم أن هذا أن هذا النوع من التعظيم لا يكون إلا له سبحانه وتعالىٰ، وينقل جمهور العلماء والفقهاء قول سيبويه في ذلك: «واعلم أنه ليس كل موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها... وليس كل شيء من الكلام يكون تعظيمًا لله عز وجل يكون تعظيمًا لغيره من المخلوقين، لو قلت: الحمد لزيد؛ تريد: العظمة، لم يجز»[(١)].

٤- كما أن تعظيمه سبحانه وتعالىٰ يكون من خلال ثلاثة أشياء[(٢)]:

أحدها: **ألا تجعل دونه سببًا**

فلا تجعل للوصلة إليه سببا غيره، بل هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلىٰ الله إلا الله، ولا يقرب إليه سواه، ولا يدني إليه غيره، ولا يتوصل إلىٰ رضاه إلا به، فما دل علىٰ الله إلا الله، ولا هدىٰ إليه سواه، ولا أدنىٰ إليه غيره، فإنه سبحانه هو الذي جعل السبب سببًا، فالسبب وسببيته وإيصاله: كله خلقه وفعله.

الثاني: **ألا ترىٰ عليه حقًّا**

فلا ترىٰ لأحد من الخلق حقا علىٰ الله، بل الحق لله علىٰ خلقه؛ وأما حقوق العبيد علىٰ الله تعالىٰ -من إثابته لمطيعهم، وتوبته علىٰ تائبهم، وإجابتهم لسائلهم- فتلك حقوق أحقها الله سبحانه علىٰ نفسه، بحكم وعده وإحسانه لا أنها حقوق أحقوها هم عليه، فالحق في الحقيقة لله علىٰ عبده، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه بجوده وبره، وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه.

الثالث: **ألا ينازع له اختيارا.**

فإذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو لغيرك شيئا -إما بأمره ودينه، وإما بقضائه وقدره- فلا تنازع اختياره، بل ارض باختيار ما اختاره لك، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه، ولا يرد عليه قدره من المعاصي. فإنه سبحانه -وإن قدرها- لكنه لم يخترها له، فمنازعتها غير اختياره من عبده. وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه. والله أعلم.

---

(١) الكتاب لسيبويه (٢/ ٦٩)؛ ينظر أيضا: تفسير الثعالبي (١/ ٥٠٤).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤٧٠).

ولقد تكاثفت النصوص الشرعية من كتاب الله عز وجل في بيان فضل تعظيم الله؛ وسنقتصر ههنا علىٰ أهمها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم الآية الرابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد لربه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ»[(١)].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح]، قال أبو السعود: «أي: ما لكم لا تؤملون له تعالىٰ توقيرًا، أي: تعظيمًا لمن عبده وأطاعه»[(٢)].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٢﴾ [الرعد]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلب تعظيم الله، وتنزيها له أن يخالف في أمره، أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به»[(٣)].

٤- قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨﴾ [القلم]، قال الثعالبي: «قيل: هي عبارة عن تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه»[(٤)].

المطلب الثاني: آليات تقرير هذه التلازمية

أمّا بالنسبة لآليات تقرير هذه التلازمية فهي علىٰ النحو الآتي:

أولا: **إبطال دعوىٰ الانفكاك بين المعرفة والتعظيم**

وهذا الإبطال يظهر فيما يلي:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥﴾ [نوح]، ووجه الدلالة من الآية أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكّرهم بالملزوم -الذي لهم به علم ومعرفة- ليدل علىٰ اللازم وهو التعظيم والوقار.

فالملزوم ههنا هو **معرفتهم وعلمهم** بأن الله خلقهم أطوارًا وخلق السماوات سبعًا طباقًا، وجعل القمر فيهنَّ نورًا وجعل الشَّمس سراجًا.

---

(١) تفسير القرطبي (١ / ٩٤).

(٢) تفسير أبي السعود (٩ / ٣٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣ / ١٤٠).

(٤) تفسير الثعالبي (٤ / ٣٢٨).

واللازم هو **وجوب الوقار والتعظيم** لله، إذ إن المعرفة الحاصلة في أذهانهم تقضيه وتوجبه.

ب- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر]. ووجه الدلالة من الآية أن الله أنكر عليهم عدم إيقاع اللازم (التعظيم) مع وجود الملزوم (المعرفة= وهي أنهم يعلمون أن الأرض والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ).

ثانيًا: **الأمر بالتفكر والنظر التفصيليين المقتضيين للمعرفة في الأجزاء الكونية لتقرير مقصد وغاية التعظيم**

ومن مظاهر ذلك الأمر بالتفكر في خلقه وفي الكون كله، فالتفكر في إعجاز الله -تعالىٰ- في الكون يملأ القلب إيمانًا وإجلالًا، ويدفع اللِّسان للدُّعاء[1]، ومن الأدلة القرآنية علىٰ ذلك ما جاء في قوله -سبحانه- في (سورة آل عمران): ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

ثالثا: **بيان وقوع التعظيم من جميع الخلق عدا الإنسان، مع أن طرق المعرفة سواء كانت نقلية أو عقلية تستلزم إيقاعه له.**

فلقد بيَّن الله -سبحانه وتعالىٰ- أنَّ المخلوقات والكائنات ذلّت وخضعت لجبروته تعظيما وإجلالا، وقد عرف الإنسان هذا، فما باله لم يقدره حق قدره، مع أن وقوفه علىٰ هذ الخضوع المطلق للكائنات علما ومعرفة يقتضي منه ألا يخرج عن سنن باقي المخلوقات؛ قال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم] أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾، قال الضَّحاك بن مُزاحم في تفسيرها: «يتشققن من عظمة الله عز وجل»[2].

---

(١) تعظيم الله جل جلاله (١ / ١٨-٢٠).

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (١ / ٣٤١).

رابعا: **معرفة الشعائر المكانية والزمانية المستوجبة تعظيمها تعظيم الذات الإلهية**

إضافة إلىٰ ما سبق فإن معرفة الشعائر تقتضي تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

والشعائر علىٰ نوعين:

أ- شعائر زمانية: ومنها يوم الجمعة، وخاصة الساعة التي يستجيب الله -تعالىٰ- فيها سؤال السائلين ودعاء الداعين.

ب- شعائر مكانية: كبيوت الله -تعالىٰ- كلها؛ وخاصة البيت الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصىٰ، يقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فضل الصلاة في المسجد الحرام علىٰ غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة**»[1].

(١) صحّحه السيوطيُّ في (الجامع الصغير: ٥٨٥٠)، عن أبي الدرداء.

المبحث الثاني: أنواع ومراتب التلازم

المطلب الأول: أنواع التلازم

أوَّلًا: أنواع التلازم باعتبار العلاقة التلازمية

وينقسم بهذا الاعتبار إلىٰ عقلي وشرعي وعادي وطبعي[1]:

أ- **تلازم عقلي.**

ومن ذلك الأمر بالتفكُّر في خلقه وفي الكون كلِّه في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران] -وهذا هو الملزوم- ويلزم عنه عقلًا تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ، ويدلّ علىٰ الجانب العقلي فيه هو قوله تعالىٰ: ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾. وتجدر الإشارة إلىٰ أن عظمة لا يمكن أن تحيط بها العقول، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ذكر الله تبارك وتعالىٰ من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قَدْر ما تحتمله العقول، **وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل**»[2].

ب- **تلازم شرعي**

أي: ثابت عن طريق الشرع، ويظهر هذا التلازم بين معرفة ما يتعلق بالعبادة التي أمر المكلف بإيقاعها وبين تعظيم الباري سبحانه وتعالىٰ، قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، **وروح العبادة هو الإجلال والمحبة**، فإذا تخلىٰ أحدهما عن الآخر فسدت»[3].

ج- **تلازم عادي**

أي: إنه ينشأ عادة، ويحسن التمثيل علىٰ هذا بشعائر الله الزمانية والمكانية، فإنه كلما تكرر ذكر فضائلها وما يتعلق بها من الأحكام نشأ في النفس مكانتها، وتعاظم مع الزمان

---

(١) الإبهاج شرح المنهاج (١ / ٢٠٥)؛ وانظر أيضًا: إتحاف ذوي البصائر (١ / ٢١٥-٢١٦).

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٤ / ٣٤٦.

(٣) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٥.

قدرها حتىٰ يستقر في القلب الإجلال والوقار، وفي مقابل ذلك فإن العزوف عنها يستلزم عادة عدم قدر الله حق قدره؛ ولعل من أسباب ذلك: كثرة الترخص والمداهنات والتنازلات من علماء السوء الذين أُشربوا حب الدنيا والرياسة، فجعلوا الدين ألعوبة يأخذون منه ويدعون، ورحم الله ابن القيّم حيث يقول: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه؛ لأنَّ أحكام الرَّبِّ سبحانه كثيرًا ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس»[(١)].

د- **تلازم بالطبع**

ويتجلَّىٰ في الدَّعوة إلىٰ حبِّ الله اللازم عن معرفته، فحبُّ المحبوب يلزم عنه **بالطبع** تعظيم المحبوب وتبجيله؛ ثم لا يخفىٰ أن محبة الله هي أساس الإيمان وأصل العبادة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]، فبيَّن الله صفة أهل الإيمان أنهم يحبهم الله وهم يحبونه، وتستلزم التعظيم، ويكون معها امتثال الأمر واجتناب النهي، والسعي في مراضاة المحبوب، والبعد عما يسخطه، وهي واجبة في حق الله تعالىٰ، يجب أن يفرد الله عز وجل بها، وصرف هذا النوع من المحبة لغير الله شرك أكبر.

تنبيهان:

أ- المنطقيون يشترطون لقبول الدلالة الالتزامية وجود التلازم الذهني بين الملزوم واللازم، علىٰ خلاف ما ذهب إليه علماء الأصول؛ قال السنوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما في فن الأصول أو في البيان فإنهم لا يشترطون في دلالة الالتزام أن يكون اللزوم ذهنيا بل مطلق اللزوم بأي وجه كان، وبذلك كثرت الفوائد التي يستنبطونها بدلالة الالتزام من ألفاظ القرآن والسنة وألفاظ أئمة المسلمين»[(٢)].

ب- الفرق بين الدلالتين العقلية والطبيعية هو أبدية الدلالة في العلاقة العقلية وديمومتها، وعدم ذلك في العلاقة الطبيعية؛ ذلك أنه متىٰ وجد الدال في العلاقة العقلية لابد من وجود المدلول، لتلازمهما في الخارج وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر، والأمر في العلاقة الطبيعية ليس كذلك، فقد يطلق الإنسان كلمة (آه) وهو

(١) الفوائد لابن القيم (٩٣).

(٢) حاشية البيجوري علىٰ مختصر السنوسي في فن المنطق (٣٧).

ليس بمتألم، وقد يتألم ولا يقول: (آه)، فيعبر عن ألمه بالسكوت، وقد يعبر عنه بالإعراض عن الأكل.

ثانيًا: أقسام التلازم باعتبار نوع اللازم

والتلازم بهذا الاعتبار ينقسم إلىٰ: بين وغير بين، والبين إلىٰ: أخصّ وأعمّ.

فدلالة اللازم البين بالمعنىٰ الأخصّ: هي التي يكفي فيها تصور الملزوم (الدَّالّ) ليحصل تصور اللَّازم (المدلول)[١].

وضابطها: أن يلزم من مجرد تصور الملزوم تصور لازمه، سواء كان هذا التلازم في الذهن فقط، أو في الذهن والخارج معًا؛ مثل: المعرفة والتعظيم، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا»[٢].

ودلالة اللازم البين بالمعنىٰ الأعم: هي التي يحتاج فيها إلىٰ تصور الملزوم واللازم ليحكم الذهن بالتلازم بينهما[٣].

أي إنه يجب تصور هذه الأمور الثلاثة: «الملزوم، اللازم، النسبة بين اللازم والملزوم» للجزم بالملازمة، دون الحاجة إلىٰ برهان لإثبات الملازمة.

مثاله: ذكر الله تعالىٰ والتعظيم؛ فالجزم بالملازمة بين الذكر وبين التعظيم يتوقف علىٰ إدراك معنىٰ الذكر، وإدراك معنىٰ التعظيم، ثم ملاحظة النسبة بينهما، وحينئذٍ يحصل الجزم بثبوت الملازمة بينهما، وأن التعظيم لازم عن كثرة الذكر.

وأمَّا دلالة اللازم غير البين؛ فهي ألا يلزم من فهم الملزوم واللازم فحسب الجزم باللزوم بينهما، بل يتوقف فيه علىٰ إقامة الدليل بيانا للملازمة، وذلك كالملازمة بين معرفة الشعائر وبين التعظيم، فإنها لا تذعن الملازمة إلا بتوسط دليل يبينها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، فيقطع العقل إذا سلم بذلك أن معرفة الشعائر تقتضي التعظيم، ويثبت هذه الملازمة.

---

(١) شرح تنقيح الفصول (٢٤).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٥).

(٣) فصول البدائع في أصول الشرائع (٢ / ٢٤١).

المطلب الثاني: مراتب التلازم المعرفي التعظيمي

إن ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي في سلك النظم القرآني علىٰ ثلاث مراتب:

الأولىٰ: لازمة عن العبودية الاضطرارية، وهي متحققة في كل الأحوال، وواقعة من جميع الخلق، يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج]؛ يقول الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: المؤمنون، وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وكثير من بني آدم حقَّ عليه عذاب الله، فوجب عليه بكفره به، وهو مع ذلك يسجد لله»[(١)].ويستوي في هذه المرتبة الموحد وغيره، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمشركون ما كانوا ينكرون عبادة الله وتعظيمه ولكن كانوا يعبدون معه آلهةً أخرىٰ»[(٢)]، ويدل علىٰ هذا أيضا ما ورد من آثار ووقائع حصلت من المشركين مع النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وهي كالتالي:

١- ما رُوي: أنَّ عُتبة بن ربيعة حينما قرأ عليه الرَّسول ﷺ فواتح سورة فصلت فلما بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلَت]، وضع يده علىٰ فم رسول الله ﷺ وناشده اللهَ والرَّحمَ ليسكتُنَّ[(٣)].

٢- وروي عن جُبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور]، قال: كاد قلبي أن يطير[(٤)]. -والواقعة كانت قبل إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-.

٣- وممَّا يُروىٰ في هذا الباب: أنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان عند الكعبة -وحوله صناديد قريش- فقرأ عليهم (سورة النجم)، فلما وصل إلىٰ السَّجدة في آخر السورة؛ سجد، فسجدوا معه[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (٥ / ٣٠٣).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢١ / ٢٨٢).
(٣) تفسير القرطبي (١٥ / ٢٢١).
(٤) أخرجه البخاريّ (٤٨٥٤).
(٥) أخرجه البخاري (١٠٧١).

الثانية: هي ما انصرف من المسلم إلىٰ ذات التعظيم والإجلال الناشئين عن العلم والمعرفة، والتفاوت في هذه المنزلة بين أفراد المكلفين غير حاصل فيها، ويتعين تحقيق هذا القدر وجوبا عليهم، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالىٰ، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من **الإجلال والإكرام**، الذي هو حال في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح»[(١)].

الثالثة: الزيادة علىٰ أصل التعظيم، ولا ريب أن التفاوت فيها واقع، وهي تتناسب طردا لا عكسا مع المعرفة، وتتردد جزئياتها بين الوجوب والندب؛ وفي هذا يقول ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ في (كتاب الإيمان): «والعباد يتفاضلون في الإيمان علىٰ قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السِّرِّ والعلانية»[(٢)].

ومن أشدِّ العقوبات أن تعاقب بالحرمان من هذا النوع التعظيم، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكفىٰ بالعاصي عقوبةً أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه، ومن بعض عقوبة هذا أن يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفُّون به كما هان عليه أمره واستخف به»[(٣)].

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية (١/ ٣٧٥).
(٢) الإيمان لابن منده (١ / ٣٠٠).
(٣) الجواب الكافي (٤٦).

الخاتمة

وفي الخاتمة نورد أهم النتائج المتوصل إليها باختصار، وذلك في النقاط الآتية:

أولا: الظاهرة القرآنية هي ما دلّ علىٰ أمر من الأمور اللغوية أو الشرعية لتقرير مقصد شرعي، واطرد النص فيها أو الإشارة إليها كثيرا.

ثانيا: تناول مالك بن نبي مصطلح الظاهرة القرآنية من حيث الجملة-أي: إنه يرىٰ كلام الله ظاهرة في ذاته – بينما نحن نلتفت في بحثنا إلىٰ الظواهر الجزئية التفصيلية، وقد كان تعريفنا لها بهذا الاعتبار.

ثالثا: ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي، هي كل ما دلّ علىٰ أصل امتناع انفكاك التعظيم للذات الإلهية عن المعرفة الشرعية الثابتة عن طريق الوحي القرآني.

رابعا: بالنسبة لآليات تقرير هذه التلازمية فهي علىٰ النحو الآتي:

أ- إبطال دعوىٰ الانفكاك بين المعرفة والتعظيم.

ب- الأمر بالتفكر والنظر التفصيليين المقتضيين للمعرفة في الأجزاء الكونية لتقرير مقصد وغاية التعظيم.

ج- بيان وقوع التعظيم من جميع الخلق عدا الإنسان، مع أن طرق المعرفة سواء كانت نقلية أو عقلية توافرت وتستلزم إيقاعه له.

د- معرفة الشعائر المكانية والزمانية المستوجبة تعظيمها تعظيم الذات الإلهية.

خامسا: ينقسم التلازم المعرفي التعظيمي -باعتبار العلاقة التلازمية- إلىٰ عقلي وشرعي وعادي وطبعي.

سادسا: وينقسم التلازم المعرفي التعظيمي أيضا بحسب نوع اللازم بين وغير بين، والبين إلىٰ: أخص وأعم:

أ- فضابط دلالة اللازم البين بالمعنىٰ الأخص: أن يلزم من مجرد تصور الملزوم تصور لازمه، سواء كان هذا التلازم في الذهن فقط، أو في الذهن والخارج معًا؛ مثل: المعرفة والتعظيم.

ب- ودلالة اللازم البين بالمعنىٰ الأعم: هي التي يحتاج فيها إلىٰ تصور الملزوم واللازم ليحكم الذهن بالتلازم بينهما، أي إنه يجب تصور هذه الأمور الثلاثة:

«الملزوم، اللازم، النسبة بين اللازم والملزوم" للجزم بالملازمة، دون الحاجة إلىٰ برهان لإثبات الملازمة.

ج- وأما دلالة اللازم غير البين؛ فهي ألا يلزم من فهم الملزوم واللازم فحسب الجزم باللزوم بينهما، بل يتوقف فيه علىٰ إقامة الدليل بيانا للملازمة، وذلك كالملازمة بين معرفة الشعائر وبين التعظيم، فإنها لا تذعن الملازمة إلا بتوسط دليل يبينها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، فيقطع العقل إذا سلم بذلك أن معرفة الشعائر تقتضي التعظيم، ويثبت هذه الملازمة.

سابعا: إن ظاهرة التلازم المعرفي التعظيمي في سلك النظم القرآني علىٰ ثلاث مراتب:

١- لازمة عن العبودية الاضطرارية، وهي متحققة في كل الأحوال، وواقعة من جميع الخلق.

٢- هي ما انصرف من المسلم إلىٰ ذات التعظيم والإجلال الناشئين عن العلم والمعرفة، والتفاوت في هذه المنزلة بين أفراد المكلفين غير حاصل فيها، ويتعين تحقيق هذا القدر وجوبا ولزوما.

٣- الزيادة علىٰ أصل التعظيم، ولا ريب أن التفاوت فيها واقع، وهي تتناسب طردا لا عكسا مع المعرفة، وتتردد جزئياتها بين الوجوب والندب.

المصادر والمراجع

- الإبهاج شرح المنهاج، لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب، بيروت: دار الكتب العلمية، د ط، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد الكريم النملة، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، دط، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- أسس علم الاجتماع لعادل مختار الهواري، الكويت: مكتبة الفلاح، د ط، ١٩٨٨م.
- الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحي بن منده، ت: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
- التعريفات للجرجاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- تعظيم الله جل جلاله -تأملات وقصائد- لأحمد بن عثمان المزيد، الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، د ت.
- تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- تفسير أبي السعود -إرشاد العقل السليم علىٰ مزايا الكتاب الكريم-، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت.
- تفسير الثعالبي -الجواهر الحسان في تفسير القرآن-، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت.
- تفسير الطبري -جامع البيان عن تأويل القرآن-، ت: بشار عواد معروف عصام فارس الحرستاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤.
- تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن- ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي، ت: محمد حسن هيتو، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ.
- التوقيف علىٰ مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوي، ت: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة: دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

- الجامع الصحيح للبخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط، ١٤٢٢هـ.
- الجامع الصغير للسيوطي، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي -الداء والدواء- لابن القيم، المغرب: دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- حاشية البيجوري علىٰ مختصر السنوسي في فن المنطق، وبالهامش شرح السنوسي علىٰ مختصره، القاهرة: مطبعة التقدم العلمية، ط١، ١٣٢١هـ.
- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين للسعدي، الدمام: دار ابن القيم، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- شرح تنقيح الفصول لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الرياض: الحرس الوطني السعودي، د ط، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
- الصحاح للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور، بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٤م.
- الظاهرة القرآنية- مشكلات الحضارة- لمالك بن نبي، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: عبد الله دراز، محمود شاكر. ط٤، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- العظمة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- علم الاجتماع -الموضوع والمنهج- لمجد الدين عمر خيري، عمان: دار مجدلاوي للنشر، د ط، ١٩٩٩م.
- فصول البدائع في أصول الشرائع لشمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري الرومي، ت: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د ت.

- الفوائد لابن القيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان القنوجي، ت: عاصم بن عبد الله القريوتي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٤٨م.
- الكتاب لسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي ، ت: رفيق العجم - علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦ .
- لسان العرب لابن منظور، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- المحصول في أصول الفقه للرازي، ت: طه جابر فياض العلواني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧م.
- مدارج السالكين لابن القيم، ت: ناصر بن سليمان السعوي - علي بن عبد الرحمن القرعاوي - صالح بن عبد العزيز التويجري - خالد بن عبد العزيز الغنيم - محمد بن عبد الله الخضيري، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية لجميل صليبا، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- معجم المصطلحات العلمية والفنية ليوسف خياط، بيروت: دار لسان العرب، د. ط، د. ت.
- معجم مصطلحات أصول الفقه لمصطفىٰ قطب سانو، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، دط، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط٤، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي، الكويت: الدار السلفية، ط٤، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ت: عبد العزيز بن زيد الرومي - محمد بلتاجي - سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.